

صورة البطل في الرواية العربية في العراق من ١٩٨٠ حتى ٢٠٠٣

رسالة قدمها ناصر عويد شاطي إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها.

بإشراف د. خالد سهر

٢٠٠٥ م

١٤٢٦ هـ

الخاتمة

تفاعلت الرواية في العراق مع الأجواء العامة، والحالات النفسية، التي، عايشها الروائي العراقي، فرصدت هذا التفاعل في صورة البطل، لحقبة مهمة، شهدت الكثير من النتائج، السياسية والثقافية.

و لما كانت الحرب هي السمة الأساس في الحقبة الدراسية، و كانت للبطل في الحرب أهميته المرحلية، فتتبع تطور المعالجة الروائية، للحرب في الجانب البطولي، منذ الرواية الأولى. وما إتسمت به من دعائية، وسذاجة في بناء البطل المندفع بحماسة للمعركة، وهو يتمتع بقوته الجسدية، وإيمانه بواجب المشاركة في المعركة. وإن لم يكن ملزماً بذلك قانوناً، فيتطوع في الجيش، أو في الجيش الشعبي، ويضحي بحياته المدنية. هذه السمات التي برزت في الرواية الأولى للحرب (الرقص على أكتاف الموت) والروايات التي غلب عليها الإتجاه الإعلامي المؤسساتي. وقد سادت في المعالجات التي توازن بين خطاب المؤسسة، وخطاب غير المؤسسة. في إظهار مآسي الحرب، وتناقضات الحياة في زمن الحرب. مع بقاء ملامح بطل القوة الجسدية المندفع في القتال مثل (في الأرض الحرام). وظهر البطل المضحي بحياته، بعد أن تسيد البطل الجريح في الكثير من الروايات. جاء (الشهيد) الذي يضحي مع تخليه عن القوة الجسدية الفائقة، والأفعال القتالية المندفعة مثل (بيان أول للطفولة القديمة). ومع إستمرار الحرب، وفي تواصل الروائيين بالمعالجة الروائية، اختلفت صور البطولة، فظهر البطل المستلب الذي يشارك في المعركة مكرهاً. فيجد نفسه أمام الموت، أو القتال، وهو غير جدير بالمواجهة لضعفه، و لقلته خبرته، فتضيع ملامحه العامة، وأسمه و إنتماؤه الإجتماعية. كما في (طواف متصل) فيكون الخطاب غير المؤسساتي هو الغالب في هذه المعالجات.

ولذا كانت أشكال المعالجة الروائية للحرب العراقية الإيرانية موزعة على أربعة أشكال، وفقاً لإرتباطات البطل الإجتماعية، وتواجده القتالي في زمن الرواية، وهي:

١. بطل رواية المحارب .

٢. بطل رواية أجواء الحرب .

٣. بطل رواية المعركة .

٤. بطل رواية الأسر .

وقد إنماز كل بطل في الرواية بأجواء خاصة، تحدد حركته، وترسم أفعاله البطولية، وتحكم علاقته بالمتلقي، والمؤسسة، وظهرت في الرواية بعد نضوج المعالجات، وإشارات الإنفلات من القيم الإعلامية للمؤسسة. فيما أصطلح عليه (الأدب التعبوي). فظهر البطل المنفلت من

الإندفاع، و البحث عن القتال، الذي وجد نفسه في حرب جنونية لا يعرف منها إلا الدمار ، و الحيوانية في السلوك كما في (الحقول البيضاء) وإن تطلب ذلك الإنتقال إلى الجهة الثانية ، وإستقدام بطل من خارج دائرة الصراع . فكانت المعالجة الروائية للحرب العراقية الإيرانية تعكس تغيرات الواقع التاريخي ، وتفاعل الروائي والمؤسسة ، مع متطلبات الساحة السياسية، و الثقافية.

أما رواية (حرب الكويت) وتداعياتها ، فقد جاءت لتركز على الجوانب التي طرحتها المؤسسة، وهي قصف المدن، و ما بعد إنسحاب الجيش العراقي من الكويت، وتداعياته في الداخل . فكانت في الجانب الثاني بعيدة عن المعالجة الروائية الفنية . ورجحت فيها الجوانب التسجيلية الإلتقائية. مثل (في الطابق الأعلى). أما قصف المدن ، وصعوبة الأحوال المعيشية ، فقد ظهر البطل العاجز ، الذي تقع الأحداث أمامه ، وهو لا يملك إلا المشاركة في الدفن ، أو البكاء كما في (تراثيل الود). والغالب على الأعمال الروائية ، لهذه المرحلة ظهور تأثير العوامل الاقتصادية ، ومصاعب الحياة المعيشية، وتحولاتها الإجتماعية الخطيرة.

وفي الباب الثاني بعيدا عن الحرب ، ومعالجاتها الروائية، في المهيمنة الإجتماعية . توزعت الرواية على أجواء الريف ، ومشاكله. بعيدا عن تغيرات ما بعد عام (١٩٦٨)، فكانت قضية القيم الإجتماعية ، والتقاليد، والإعتقادات، تأخذ الجانب المباشر في أولويات الخطاب غير المؤسساتي ، مثل (بليقيس والهدهد). أما في الخطاب المؤسساتي ، فيظهر البطل وهو يبتعد عن المباشرة في الأيديولوجيات، أو الأحداث السياسية التاريخية.

وأما البطل الذي يعبر عن انتماءات طبقية ، وأحداث تاريخية ، فهو بطل الواقعية الإجتماعية، التي ركزت روايته على تتبع التغيرات في المجتمع مثل (الراووق). ويأخذ الواقع التاريخي أثره في بناء البطل من جوانب عدة . فشكله يشير إلى إنتمائه، وتصرفاته إلى أفكاره، فنجد البطل تتحكم به عوامل الإلتناء والواقع المعيش . وظهر فيما بعد البطل العاجز تماما بسبب التسلط ، عندما يجد أن واقعه يتحكم به سلوكيا، مثل (ما يتساقط من الجحيم) . مع إستدعاء جوانب تهم القارئ المعاصر، في التأزم ، وإن إبتعدت الحكاية في الزمن ، أو إتخذت من شخصية ، واقعية تاريخية بطلا ، مثل (أشواق طائر الليل) ليكون جزءا من التسويغات لما يريد أن يخوض فيه الروائي، من إستلاب في حياة البطل.

وظهر البطل في أجواء الريف بأشكال غير الواقعية الإجتماعية ، مثل الفنتازية ، ليتملص الروائي من محددات البطل ، فجاء البطل وهو يؤشر تآزمات الواقع الفاسد ، ويضع الأخطاء أمام القارئ، كما في (مولد غراب). مما يؤكد إنفلات البطل من القيم المؤسساتية ، وإنتقاد واقع البطل المتأزم ..

ثم وجدنا البطل تحاصره الحياة ،ويبحث عن الخلاص في الأحلام ،والهرب،و الحب . وهو يبتعد عن السياسة كما في(الخراب الجميل). أو نجده أمام الإستحواذ،ومواجهته وجها لوجه .فيكون ثبات البطل سببا في إنهيار المقابل ،الذي يشير إلى واقع المدينة الفاسد.كما في(نهايات صيف).

أو يشير إلى الخراب ،والتأزم الذي يسببه فرد ،حين يستبد برأيه ،ويندفع وراء متطلبات أنية تتحكم به . فيكون في أجواء مأزومة ،بعد أن يتجاهل الآخرين كليا مثل(موت الأب). ويظهر البطل مستلب الإرادة ،و عاجزا عن إحداث التغيير في أجواء الحكاية ،فتنتهي برسم صورة لواقع البطل ومرجعياته التاريخية .

ومتلما وجدنا في بطل أجواء الريف ،وجدنا إستدعاء واقعة من التاريخ،بما يثيرها في زمن القارئ، من وقائع،مما يجعل التناول لها أكثر مرونة ،فيطرح البطل مواقف تتعارض مع قيم السلطة في الحكاية، فتحاربه القوى المساندة لها في (نجيمات الظهيرة)

أو يؤشر في تحركه ، داخل حكايته المؤطرة بزمان بعيد عن تحسس المؤسسة نهاية تغيرات طارئة في الأجواء العامة للمدينة ،مثل (المقطورة) فتدفعه إلى العزلة ،والإبتعاد عن المجتمع ،وقد يكون الإبتعاد ،و العزلة إعلانا لموقف من الحياة ،تماشيا مع واقع البطل الحياتي ،مثل(التل) مع وجود الحاجة الشديدة إلى الآخرين . فالبطل مهما تمتع بمقدرة ،أو تميز في الفهم ،فهو عاجز عن التغيير .مثل (الأرض الجوفاء). لأن التغيير يأتي من داخل التسلط ،وبالوسيلة ذاتها التي يفرض نفسه بها . فالبطل يعرف أن التغيير يأتي من داخل القوى المسيطرة. مثلما حدث في(الأبجدية الأولى). وهنا نشعر أن البطل في كل الأجواء يخاطب قارئنا واحدا،يمتلك مرجعية إجتماعية ،وتاريخية واحدة. ومنها يستمد البطل ملامحه وسماته التي يدركها القارئ لإشتراك المرجعيات ،وتوحد المدار مع الوضوح .